الباب الأول
العنصرية والتمييز

العنصرية أو التمييز العرقي

هو الاعتقاد بأن هناك فروق وعناصر موروثة بطبائع الناس و/أو قدراتهم وعزوها لانتمائم لجماعة أو لعرق ما بغض النظر عن كيفية تعريف مفهوم العرق وبالتالي تبرير معاملة الأفراد المنتمين لهذه الجماعة بشكل مختلف اجتماعياً وقانونياً كما يستخدم المصطلح للإشارة إلى الممارسات التي يتم من خلالها معاملة مجموعة معينة من البشر بشكل مختلف ويتم تبرير هذا التمييز فى المعاملة باللجوء للتعميمات المبنية على الصور النمطية وإلى تلفيقات علمية.

أولئك الذين ينفون أن يكون هناك مثل هذه الصفات الموروثة (صفات اجتماعية وثقافية غير شخصية) يعتبرون أي فرق في المعاملة بين الناس على أساس وجود فروق من هذا النوع تمييز عنصري وبعض الذين يقولون بوجود مثل هذه الفروق الموروثة يقولون أيضاً أن هناك جماعات أو أعراق أدنى منزلة من جماعات أو أعراق أخرى وفي حالة المؤسسة العنصرية، أو العنصرية الممنهجة، فإن مجموعات معينة قد تحرم حقوقاً و/أو امتيازات، أو تؤثر في المعاملة على حساب أخرى.

وبالرغم من أن التمييز العنصري يستند في كثير من الأحوال إلى فروق جسمية بين المجموعات المختلفة، فقد يتم التمييز عنصرياً ضد أي شخص على أسس ثقافية، دون أن يكون لديه صفات جسمية كما قد تتخذ

العنصرية شكلاً أكثر تعقيداً من خلال العنصرية الخفية التي تظهر بصورة غير واعية لدى الأشخاص الذين يعلنون التزامهم بقيم التسامح والمساواة وبحسب إعلان الأمم المتحدة، فإنه لا فرق بين التمييز العنصري والتمييز الإثني أو العرقي.

وهناك بعض الدلائل على أن تعريف العنصرية تغير عبر الزمن، وأن التعريفات الأولى للعنصرية اشتملت على اعتقاد بسيط أن البشر مقسمون إلى أعراق منفصلة ,يرفض جل علماء الأحياء، وإخصائيوا علم الإنسان وعلم الاجتماع هذا التقسيم مفضلين تقسيمات أخرى أكثر تحديداً وخاضعة لمعايير يمكن إثباتها بالتجربة، مثل التقسيم الجغرافي،، أو ماضي فيه قدر وافر من زيجات الأقارب.

وكان من أول الأعمال العنصرية وأكثرها انتشاراً تجارة الرقيق التي كانت تمارس عادة ضد الأفارقة السود كما توجد امثلة معاصرة للعنصرية مثل:العزل العنصري ضد الأفارقة السود قوانيين الفصل في جنوب أفريقيا.

- الحركة الصهيونية ضد السكان العرب لفلسطين.
- الحركة العنصرية ضد اليابانيين في أمريكا خلال الحرب العالمية.
- حركة معاداة السامية ضد اليهود في أوروبا عموماً.
- وفي ألمانيا النازية العنصرية في تركيا الحديثة ضد الطوائف المسيحية أدت إلى حدوث مذابح الأرمن والمذابح الآشورية ومذابح

اليونانيون وبوجروم إسطنبول، وكذلك ضد العرب في بدايات القرن العشرين.

- العنصرية ضد العرب والمسلمين في أمريكا والغرب بعد أحداث ١١ سبتمبر.

الفرق بين العزل والتمييز العنصرى

العزل العنصري يختلف عن التمييز العنصري في عدد من الطرق التمييز يتراوح بين الدعاوى الفرديه، إلى حالات الاختفاء القسري اجتماعيا السلوك التمييزي، لتكليف من الناحية القانونية في حالة الخلافات بين أعضاء من مختلف الأعراق وقد العزل، عادة، عززت التمييز بقسوه: إذا كان الناس من مختلف الاجناس ويعيش في احياء منفصلة،وحضور مختلف المدارس، وتلقي مختلف الخدمات الاجتماعية، الخ،ثم فضلت الناس عن طريق الأعراق ويمكن إلى حد كبير معزول عن المجتمع والاهمال من الناس من الأجناس الأخرى.

وانين الفصل العنصرى

قوانين الفصل العنصري مثال على العزل العنصري والتمييز القانوني،من الناحية القانونية فيما يتعلق بحقوق الملكيه،وحقوق العمالة وممارسة الحقوق الدستورية منع هذا الإجراء الأفراد غير البيض حتى لو أقام في

جنوب أفريقيا البيضاء من أن يكون لـه حق اقتراع إذ تم حصر تلك الحقوق في أوطانهم البعيدة تم فصل أجهزة التعليم، الصحة، والحدمات المختلفة، وكان الأجهزة المخصصة للسود أسوأ وضعا بشكل عام.

خلفية تاريخية

منذ قرون مضت غزت جماعات البدو الناطقة بالهندية -الأوروبية الهند وهم جماعات من أصول آرية وأنشأت نظام الطبقات وهو نظام نخبوي تشكل من خلاله النظام الاجتماعي الذي يفصل الغزاه من غيرهم من القبائل أو السكان الاصليين من خلال إنفاذ وفرض الزواج العنصرى، وقد كان نظاماً صارماً يخضع فيه كل شيء لقوانين صارمة وقد قيد السكان الاصليين بمهن محددة وفى أسبرطة أسس العسكريون في أسبرطة واحدة من أقسي النظم القائمة على العنصرية في التاريخ أقلية صغيرة كانت تحكم عدداً كبيراً من السكان الاصليين، الذين تكاد تنعدم حقوقهم المدنية أو السياسية.

ألمانيا النازية ١٩٣٣-١٩٤٥

فرض حظر الزواج من خارج العرق الارى، هو جزء من القوانين التي سنت في نورمبرج على أيدي النازيين في ألمانيا ضد الجالية اليهودية الألمانية خلال الثلاثينات من القرن العشرين وقد كانت القوانين

تحظر الزواج بين اليهود والألمان الآريه، التي صنفت على أنها أجناس مختلفة في إطار القانون العام للحكومة في بولندا المحتلة، تم تقسيم السكان إلى مجموعات مختلفة وبحقوق المختلفة في الحصص الغذائية، النقل العام، والمحال في إطار العزل العنصري.

سياسة التفرقة العنصرية

سياسة رسميه أساسها التفرقة في المعاملة بين السود والبيض من جهه والأوروبيين من جهه أخرى، في الإسكان والتعليم والوظائف ووسائل النقل وأماكن الترفيه، بدأت في أفريقيا عندما كان الاحتلال الأوروبي قائم بعد تصريحات سيسل رودس ونادى دانيال فرانسوا مالان ١٨٧٥-١٩٥٤بسياسة التفرقة العنصرية وابتكر لها كلمة أبارتيد وتعني الفصل أو التفرقة، وفي جنوب أفريقيا ظل الدستور من سنة ١٩١٠ ينص على قصر التمثيل البرلماني على الأوروبيين فقط وحرمان الأفارقة من حق الانتخاب،وفي سنة ١٩٥٠ صدر قانون بتخصيص أماكن للسود والبيض وإجبارهم على وضع حواجز حول المناطق التي يعيشون فيها، وناضل الأفارقة هناك نضال كبير ضد سياسة التفرقة العنصرية بالإضرابات والاحتجاجات وعقد المؤتمرات، وتعرضت جمهورية جنوب أفريقيا للانتقادات من دول الكومنولث فانسحبت منه سنة ١٩٦١ عوضاً عن تغيير سياستها، وأدانتها الجمعية العامة للأمم المتحدة في

نـوفمبر ١٩٦٢ وطالبـت بفـرض عقوبـات عليهـا وطلبـت مـن مجلـس الأمـن البحـث فـي إمكانيـة طردهـا مـن عضـوية الأمـم المتحـدة، ووقفـت الحكومـات والشـعوب الأوروبيـة ضد سياسـتها، وتـم تطبيـق عقوبـات علـى دولة جنوب أفريقيا حتى تم تغيير القوانين وإعطاء الأفارقة حقوقهم.

ووجدت سياسة التفرقة العنصرية أيضاً في روديسيا زيمبابوي حالياً وكينيا وأوغندا وأمريكا خصوصاً في الولايات الجنوبيه، وبدأت هذه السياسة في أمريكا بعد الحرب الأهليه الأمريكيه وظهرت قوانين عنصريه تدعم سيطرة البيض في أواخر القرن التاسع عشر، وبدأت مقاومة السود لهذه السياسة قبل الحرب العالمية الثانيةوخصوصاً قوانين التعليم وظهر في أمريكا زعماء سود مثل مارتن لوثر كنج ومالكوم إكس وطالبوا بتغيير القوانين العنصرية، وطلب مارتن لوثر كنج من السود عدم أستعمال العنف للتعبير عن غضبهم ومقاومتهم للتفرقه العنصرية التي يعانون منها، وقاد في ١٩٥٥ و١٩٥٦ حركة مقاطعة السود لأوتوبيس مدينة مونتجمري عاصمة ولاية ألاباما بعد أن طُلب من سيدة سوداء ترك مقعدها لرجل أبيض في حافلة ورفضت، واستمرت المقاطعة إلى أن اصدرت المحكمة العليا حكماً بإلغاء قوانين العزل، مارتن لوثر كنج قتل لكن حركة التوحيد العنصري في أمريكا نشطت خصوصاً بعد صدور قانون الحقوق المدنية.

أنواع التمييز:

- التمييز الشخصي أو الفردي هو تجاه فرد بعينه، ويشير إلى أي عمل يؤدي إلى عدم المساواة في المعامله بسبب الفرد الحقيقي أو المتصور عضوية المجموعة.

- التمييز القانوني، التمييز القانوني يشير إلى عدم المساواة في المعاملة، وعلى حجه إنتماءه إلى جماعة، وهذا هو التمسك بحكم القانون والفصل العنصرى مثال على التمييز القانوني.

- التمييز المؤسسي يشير إلى عدم المساواة في المعامله المترسخ في المؤسسات الاجتماعية الأساسية وللقضاء على هذا التمييز أعتمدت الجمعية العامة للأمم المتحدة الأتفاقية الدولية للقضاء على جميع أشكال التمييز العنصري في قرارها ٢١٠٦ ألف ١٩٦٥ ففي المادة الأولى الفقرة الأولى من هذه الأتفاقية تتضمن، يقصد بتعبير التمييز العنصري أي تمييز أو أستثناء أو تقيد أو تفصيل يقوم على أساس العرق أو اللون أو النسب أو الأصل ويستهدف تعطيل أوعرقلة الأعتراف بحقوق الإنسان والحريات الأساسية أوالتمتع بها أوممارستها، على قدم المساواة في الميدان السياسي أو الاقتصادي أو الاجتماعي أو الثقافي أو في ميدان أخر من ميادين الحياة العامة.

موقف الاسلام من التمييز العنصرى

الإسلام دين عالمي، نزل للعالمين كافة، ولم يفرق بين عربي وأعجمي، إلا على أساس التقوى والقرب من الله تعالى، ولم يجعل لقوم فضلاً على غيرهم لشكلهم أو لونهم، فليس في الإسلام فضل لأحمر على أسود إلا بالتقوى والعمل الصالح ولم يجعل الإسلام هذه المبادئ على المستوى النظري فقط بل جعلها مثالاً عملياً يظهر في عدم التمييز في الصلاة ولا في الصوم ولا الحج ولا الزكاة ولا الحدود والجنايات.

يقول الدكتور الشيخ يوسف القرضاوي :

لا يوجد دينٌ كالإسلام في عالميته، فهو دينٌ عالمي بكل ما تحمل هذه الكلمة من معانٍ، وأول ما يقرأ الإنسان في كتاب الله من سورة الفاتحة بعد البسملة (الحمد لله رب العالمين)، لم يقل رب المسلمين، ولا رب المؤمنين، ولا رب العرب، ولا رب الشرقيين، ولكنه رب العالمين، كل العالمين وآخر سورة يقرأها المسلم في القرآن (قل أعوذ برب الناس ملك الناس إله الناس) وبين أول المصحف وآخره تنتشر آيات كثيرة تتحدث عن عالمية هذا الدين (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين)، (تبارك الذي نزّل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا (والقرآن أول كتاب ينادي الناس –كل الناس- بخطاب مباشر من الله تعالى، يقول: (يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون)، (يا أيها الناس

اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساء،وأنا أحسب أن كلمة (الأرحام)هنا لا تشير إلى الأرحام الخاصة، الأخ والعم والقريب، ولكن الأرحام الإنسانية العامة، هو يتحدث (يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة) -هي نفس آدم- (وخلق منها زوجها) - حواء- (وبث منهما رجالاً كثيراً ونساءً) تكرر هذا النداء في القرآن الكريم وفي سورة الحجرات (يا أيها الناس إنّا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا، إن أكرمكم عند الله أتقاكم) (إنا خلقناكم من ذكرٍ وأنثى..) الخالق واحد (إنا خلقناكم) والمادة المخلوق منها الجميع واحدة (من ذكر وأنثى)، و قال: (لتعارفوا) أي يُعرف إن هذا عربي، وهذا عجمي، وهذا إفريقي، وهذا آسيوي، وهذا مصري، وهذا سوري (لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم(قالها النبي – عليه الصلاة والسلام- في حجة الوداع وأمام مائة ألف من أصحابه، جاءوا من قبائل العرب قال: أيها الناس، إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، كلكم لآدم، وآدم من تراب، لا فضل لعربي على أعجمي، ولا لأعجمي على عربي، ولا لأحمر على أسود، إلا بالتقوى (إن أكرمكم عند الله أتقاكم) وقوله (عند الله أتقاكم) معناها عند الله في الآخرة، أي لا يأتي أحد ويقول: أنا أفضل منك لأني تقي، وأنت غير تقي، فالتقي لا يقول عن نفسه إنه تقي، فأفضلية التقوى عند الله، الناس يتفاضلون في هذه الدنيا

بالعلم والعمل وإتقان العمل، أما من حيث العنصر والعرق والجنس فلا يفضل لون على لون ولا عرق على عرق ما دام الجميع يكونون أسرة مشتركة،ربهم واحد وأبوهم واحد،يعني يشتركون في العبودية لله والبنوة لآدم، ولذلك انتشر في القرآن هذا النداء (يا بني آدم..) وهو خطاب لكل الناس، (يا بني آدم) فما دام الأب واحد والرب واحد فلماذا يتميز بعضنا عن بعض؟! الله – سبحانه وتعالى- اعتبر اختلاف الألسن والألوان آية من آياته، قال:(ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم،إن في ذلك لآياتٍ للعالمين) فلم يعتبر الإسلام هذه المفارقات بين الناس إطلاقاً، المفارقات اللونية، المفارقات العرقية، المفارقات الإقليمية، مفارقات اللسان أو اللغة، المفارقات الطبقية، ألغاها كلها، (فإذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون) .

كان علي زين العابدين بن الحسين –المعروف بالسجاد- كان سجاداً عباداً لله تبارك وتعالى كان يطوف بالكعبة ويبكي و.. فرآه الأصمعي، وقال له: فيم هذا البكاء كله وأنت من أهل البيت الذين قال الله فيهم: (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا) قال له: يا أصمعي، إن الله خلق الجنة لمن أطاعه ولو كان عبداً حبشياً، وخلق النار لمن عصاه ولو كان شريفاً قرشياً، أما قرأت قول الله تعالى (فإذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون) ولذلك جمع النبي

– عليه الصلاة والسلام- أقاربه من بني هاشم،وقال: يا بني هاشم، اعملوا فإني لا أغني عنكم من الله شيئاً، يا عباس بن عبد المطلب عم رسول الله اعمل فإني لا أغني عنك من الله شيئا، يا صفية بنت عبد المطلب عمة الرسول اعملي فإني لا أغني عنك من الله شيئاً، يا فاطمة بنت محمد، اعملي فإني لا أغني عنك من الله شيئاً يا بني هاشم، لا يأتيني الناس يوم القيامة بالأعمال، وتأتوني بالأنساب، من بطأ به عمله لم يسرع به نسبه .

التقوى الحقيقة لا يعلمها إلا الله، والنبي ص أشار إلى صدره وقال: التقوى ها هنا، التقوى ها هنا، التقوى ها هنا، يعني أساسها خشية الله عز وجل والقرآن يقول: (فإنها من تقوى القلوب)، وقال: إن الله لا ينظر إلى أجسادكم ولا صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم فأساس التقوى في القلب، ولكن هناك مظاهر للتقوى، هناك أشياء نحاسب الناس عليها، وهي: أداء الفرائض، واجتناب المحرمات، وإعطاء الحقوق إلى أهلها، وإتقان العمل، وبهذا يتفاضل الناس بعضهم مع بعض، فعلى هذا فإن مظاهر التقوى العملية الظاهرة للناس هي التي نتعامل بها، إنما التقوى الحقيقية متروكة لله عز وجل ولكن أنا أريد أن أؤكد على شيء بالنسبة لقضية المساواة، قد يقرر المساواة باعتبارها مبدأ نظرياً،ولكن في الحياة لا يطبق، كثير من الأشياء النظرية، ولكن الإسلام حينما قرر المساواة لم يجعلها مجرد مبدأ نظري، لا بل أصبح مطبقاً في الحياة .

فمثلاً العبادات في الإسلام هي تطبيق عملي، الصلاة تطبق فيها المساواة في الجماعة، لا يوجد في الجماعة إن الصف الأول مثلاً للوزراء،والصف الثاني لوكلاء الوزارات، والصف الثالث لكذا، أو الصف الأول لقبيلة كذا لقريش مثلا والذي بعده لمن دون قريش أو بني هاشم لهم كذا لا يوجد مثل هذا، من وصل إلى المسجد قبل غيره كان أحق بالصف الأول، فهذه هي المساواة ولذلك تجد الأمير وبجانبه الخفير، وأستاذ الجامعة وبجانبه الفراش، وهذه هي المساواة، وأكثر من هذا في الحج، وممكن في الصلاة يظل الناس يتفاوتون أنا ألبس جبة وأنت تلبس بذلة، والثاني يلبس عمامة، وهذا يلبس طربوشا، فيأتي الحج لكي يلغي هذه الفوارق العرفية والإقليمية والطبقية وهذه الأشياء،ويفرض على الجميع لباساً واحداً أشبه ما يكون بأكفان الموتى، يتساوى الجميع في في حالة الإحرام في تطبيق المساواة، والصيام مفروض على الجميع، والزكاة على كل من ملك النصاب، العقوبات تطبق على الجميع، وفي الحديث الصحيح حينما سرقت امرأة من بني مخزوم – وبني مخزوم يعني من ذؤابة قريش- فكان لابد أن يقام عليها الحد، لثبوت السرقة عليها، فأراد تطبيق الحد فعز ذلك على قريش، امرأة مخزومية تقطع في سرقة، فقالوا: من يكلم النبي ص وبقية القصة يعلمها الجميع فهذه هي المساواة التي طبقها الإسلام في كل نواحي الحياة، ولم يبال باختلاف

الألوان، كان بلال بن رباح وهو حبشي أسود اللون يتقدم على الكثير من الصحابة، حتى على خالد بن الوليد وسيدنا عمر يقول كلمته الشهيرة: أبو بكر سيدنا وأعتق سيدنا يقصد أعتق بلالا، عمر بن الخطاب يقول عن بلال سيدنا، ونحن إلى الآن نقول: سيدنا بلال رضي الله عنه والإسلام لم ينظر إلى اختلاف الأجناس والألوان، وكان العرب عندهم في الجاهلية هذه النظرة، ولكن الإسلام جاء وأدبهم من جديد، حتى أن النبي ص قال: لينتهين أقوامٌ يفتخرون بآباءٍ لهم ماتوا في الجاهلية، إنما هم فحم جهنم، أو ليجعلنهم الله أهون من الجعل، إن الله أذهب عنكم عبية الجاهلية كبرياء الجاهلية وفخرها بالآباء، إنما هما فاجر شقي أو برٌ تقي، الناس لآدم وآدم خلق من تراب فنهاهم بهذه الشدة عن الفخر بالآباء إن أبي فلان وأبوك فلان أولئك آبائي فجئني بمثلهم إذا جمعتنا يا جرير المجامع الفخر بالآباء لا يجوز، من أراد أن يفخر فليفخر بعمله، وإيمانه، وإتقانه، وخدمته لمجتمعه لا بآبائه الذين ماتوا وربما كانوا فحم جهنم كما جاء في الحديث .